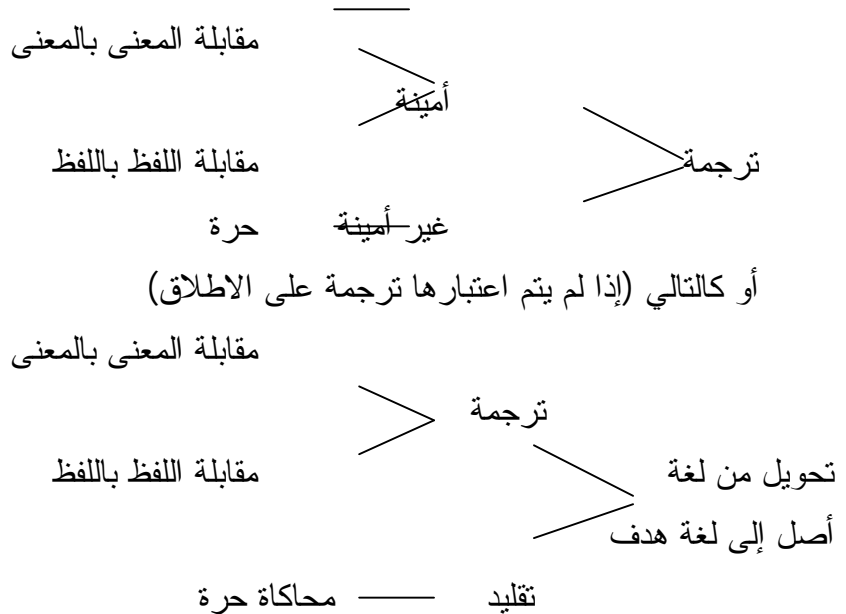


الترجمة الحرة

الترجمة الحرة في تاريخ نظرية الترجمة الغربية هي نوع من المغير التصنيفي؛ وتأخذ أشكالاً مختلفة حسب ما يقابلها. وبشكل نموذجي فإن ما يقابلها هو الترجمة المخلصة للنص؛ ولكن صفة الإخلاص للنص هذه قد تم تعريفها بطرق شتى. وطبقاً لما يمكن أن نسميه التقاليد الرومانية الكلاسيكية أو التقاليد السيشرونية/الهوراسية (Ciceronian/Horatian tradition) فإن هناك نوعين فقط من الترجمة هما الترجمة المخلصة للنص والترجمة الحرة - رغم أن أياً من سيسرو (Cicero 106-43 bc) (انظر التراث اللاتيني) أو هوراس (Horace 65-8 bc) لم يستخدم كلمة "الحرة" أو "الترجمة" لوصف المنهج الذي يفضلها؛ استخدم هوراس فقط كلمة "المخلص للنص". كانت الترجمة لكلا الكاتبين كانت مسألة الالتزام التام بكل كلمة في النص الأصلي وترتيبها؛ وهذه الترجمة هي التي يقول سيسرو أنها الترجمة كما ينبغي أن يفعل المترجم؛ ويسمى هوراس (Horace) الترجمة كما ينبغي أن يقوم بها "المترجم المخلص". وفي روايات تالية سميت تلك الأقوال بتبشير بالترجمة الحرة؛ أي ترجمة أكثر حرية وأقل التزاماً بالنص الأصلي عند نقل النص الأصلي بالألفاظ المفردة وترتيبها. ومما يدعو للدهشة أن هذا المفهوم جعل من الإخلاص فكرة سلبية؛ ففي تعليق Boethius (انظر التراث اللاتيني) (٥٢٤-٧٥/٤٧٠) في أوائل القرن السادس الميلادي على ترجمته لنص Eisagoge للكاتب Porphyry ، ادعى الأسف لاستخفافه بمقولة هوراس Horace؛ وبذلك جعل من الممكن للقارئ الذي لا يفضل الترجمة الحرفية أن ينقل عنه خارج السياق قوله: "أخاف أن ارتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه المترجم المخلص للنص إذا قمت بترجمة كل لفظة بلفظة مناظرة لها" (برونيت 1989:139). وهنا يتركنا هذا الخوف المصطنع أن يكون قد خرج عن مقولة هوراس (Horace) حول الإخلاص الحرفي، مع عبارة "ne subierim fidi interpretis culpam" أو "خشية أن ارتكب خطأ المترجم المخلص نفسه"؛ وهو تحذير للنفس كما يبدو - خاصة عندما يتم نزعه من السياق - يقصد منه غرس الخوف نفسه في المترجمين التالين عليه. ويأتي جون سكورنز اريجينا (John Scorns Erigena 810-c.77) فيما بعد ليكرر تحذير Boethius نفسه في السياق الملتوي نفسه الموجود في نموذج: "حقاً إنني أخشى أن أكون تحملت من اللوم ما تحمله المترجم المخلص" (Copeland 1991: 52). والخوف من ارتكاب الخطأ الذي يشير إليه Boethius و John Scorns هو ضمناً خوف من الخطيئة؛ وهو ما له أثر ضمني أيضاً في ربط الترجمة الحرفية (مقابلة اللفظ باللفظ) بالانحراف عن المعيار العقائدي؛ وكان هذا حقا الاتجاه نفسه الذي أتخذته الكنيسة. ولكن في الاتجاه نفسه يلاحظ أن Boethius - شأنه شأن John Scorns من بعده

- يربط بين الذنب والإخلاص؛ فالمترجم المخلص مذنب. يتوقع من المترجم المسيحي أن يكون مخلصا لربه أو بكلام آخر لكلمة الرب - ولكن ليس للكلمات المفردة لكلمة الرب. وخلال تلك الفترة نفسها - الألفية الأولى بعد الميلاد - كان هناك ضغط مضاد لهذا التقليد؛ بدأه جيروم Jerome (انظر التراث اللاتيني) في خطابة إلى باماكوس (Pammachius AD 395). وقد مهد جيروم Jerome الطريق للتقسيم الثلاثي الذي ساد التفكير العام عن الترجمة منذ أواخر أوائل ومنتصف العصر الحديث؛ أي مقابلة اللفظ باللفظ ومقابلة المعنى بالمعنى والترجمة الحرة؛ التي يسميها جون درايدن John Dryden (انظر التراث البريطاني)؛ في ما قد يكون أكثر التصريحات شيوعا حول هذا التقسيم؛ أسماها الترجمة الحرفية وإعادة الصياغة والمحاكاة (على الترتيب).

والواقع أنه من الناحية المنطقية فإن تلك المصطلحات الثلاثة تعمل بشكل ثنائي على مستويين هرميين: على المستوى الأعلى هناك ثنائية بين الإخلاص والترجمة الحرة، وعلى المستوى الأدنى، فإن الترجمة المخلصة (الحرفية) تنقسم إلى نوع يتم فيه مقابلة اللفظ باللفظ ونوع آخر يتم فيه مقابلة المعنى بالمعنى. وهكذا فإن الشكل الذي يفضله جيروم Jerome من الترجمة الحرة؛ وهو استخدام الجملة كأصغر وحدة للترجمة بدلا من الكلمة الواحدة؛ قد تهرب عبر الحد الفاصل بين الحرية والإخلاص؛ واستقر في معسكر الإخلاص كما يليق بالمترجم المسيحي المثالي - تاركا الحرية والترجمة الحرة على الجانب الآخر البعيد خارج بوابة الترجمة الحقيقية. وحسب وجهة نظر المرء حول الترجمة الحرة؛ إذا ما كانت أسلوبا رديئا للترجمة أو ليست ترجمة على الإطلاق؛ يمكن تمثيل الترتيب الهرمي في أحد الترتيبين التاليين (إذا كانت أسلوبا رديئا):



ولكن هذه التقسيمات تغطي على الاشتقاق الفعلي الذي وضعه جيروم Jerome لترجمة المعنى مقابل المعنى من المنتصف يحدها الإخلاص والحرية؛ والترجمة والمحاكاة في النظريات الكلاسيكية الرومانية. استقى جيروم مفهوم ترجمة المعنى مقابل المعنى من الجمع بين قليل من الحرية التصريحية للمحاكاة مع الإلتزام بالشكل الموجود في الترجمة الحرفية؛ ثم بنى تقليداً جديداً مستثنى من النظريات الكلاسيكية. أراد جيروم Jerome - ومن تلاه من مؤيدي ترجمة المعنى بالمعنى - الإخلاص الموجود في الترجمة الحرفية الصارمة بدون جعلها خاضعة لترتيب المفردات الموجود في اللغة الأصلية؛ وأرادوا أيضاً حرية المحاكاة والقدرة على التراجع من الترتيب اللفظي إلى المنظور الدلالي الأوسع مع تجنب الفوضى الخلاقة (أي دون إطلاق يد الرقابة المؤسسية). وبالمثل أرادوا أيضاً الإبقاء على الأحكام الشكلية الموجود في الأساليب الحرفية للتعامل مع النص الأصلي والشعور بأن هذا ليس من أفعال التواصل المتغيرة التي يمكن تفسيرها بشكل متغير ولكن تركيب لفظي ونص ذو دلالة ثابتة مع الاحتفاظ بالقدرة على التواصل؛ أي أنهم يريدون ممن يقومون بمحاكاة النص الاهتمام بالتواصل أي بالقدرة على الوصول للجمهور في اللغة المنقول إليها؛ وتسهيل عملية فهم النص. وبعبارة أخرى فإنهم قد أرادوا الذهاب وراء الإتصال المخلص وفي الوقت نفسه يجعلون ذلك ممكناً بشكل براجماتي. أرادوا أن تصبح فكرة الإخلاص فكرة مثالية بمعنى التحرر التام من الترتيب اللفظي للغة الأصلية (مع الإلتزام بالمعنى الأصلي حتى يتم الإبقاء على فكرة الإخلاص)؛ وأرادوا أيضاً تحسين القابلية للاتصال من حيث التحرر التام من صفة عدم الثبات التي توجد في السياق المنقول إليه (وحتى يظل النص قابل للتواصل يتم الإلتزام الكامل بفهم القارئ المستهدف). وكان معنى ذلك ضرورة غرس أشكال محسنة مؤسسياً من معاني النصوص الأصلية والقارئ المستهدف في عقول وقلوب الأشخاص الحقيقيين (المترجمين وقراء الأعمال المترجمة). ولكن ما يعنيه كل ذلك لتعريف الترجمة الحرة يبقى محيراً. فلأن الترجمة الحرة تعد فئة جامعة لكل ما هو ليس ترجمة مخصصة فإنها دائماً تلتبس على الأفهام ودائماً تحتوي على جوانب غنية نادراً ما تعبرها التقاليد السائدة اهتماماً. وبشكل أساسي فإن أي شيء لا يقع في نطاق المعايير المحددة للترجمة المقبولة يطلق عليه ترجمة حرة حتى عندما يكون النص الذي يسمى منحرفاً عن المعيار، هو في الحقيقة ملتزماً تماماً للنص الأصلي وليس من الحرية في شيء. وقد يكون من أمثلة ذلك الـ English Catullus الذي كتبه لويس وسيليا زوكورسكي (Louis and Celia Zukovsky) والذي لا يعمل من منطلق اللفظ مقابل اللفظ ولا مقابلة المعنى في النص الأصلي بالمعنى المناسب له في النص المترجم ولكن كان يعمل صوتاً بصوت وربما مقطعاً لمقطع. بعبارة أخرى فإنهما اتبعاً بالضبط القواعد نفسها التي اتبعها الآخرون في ترجماتهم التي تعد ترجمة مخصصة جداً حسب

التقاليد السائدة؛ فكانا يترجمان كل شريحة من النص الأصلي على حدة، ولكن لأن الشرائح التي اختارا أن يترجماها - وهي المقطع - لا تعد بشكل واسع حاملا مناسباً للمعنى فقد تم تصنيف إخلاصهما الشديد كحرية. فالحرية بكلام آخر تعني الخروج على المعايير السائدة وكسر القواعد والتحرر من قيد التقاليد السائدة؛ والترجمة تكون حرة ليس (فقط) عندما تذهب بعيداً عن معنى كل كلمة مفردة أو عبارة مستقلة في النص الأصلي ولكن عندما تخرج على القواعد المعيارية.

وهناك نوع آخر من الترجمة الحرة، يرتبط في الواقع بالمعايير النوعية السائدة، وهو أن تظل الترجمة مخصصة لأقسام الحكمة - المراحل والأحداث في ترتيبها الأصلي بالإضافة إلى الشرائح الأكبر مثل المقدمة وارتفاع وتيرة الحدث والذروة والحل النهائي. ومن أمثلة ذلك إعادة كتابة كلاسيكيات الأدب للأطفال أو لشكل إعلامي مختلف - مثلاً كتابة الأوديسة Odysseus لحلقات تليفزيونية قصيرة. وحتى وقت قريب كان من الصعب جداً الحديث عن أمثلة مثل Catullus للكاتبان Zukovsky أو النص المترجم للأوديسة (Odysseus) بسبب حاله عدم النضج للتمييز المنهجي والاصطلاحي في دراسات الترجمة. ما هي، وإلى أي مدى يمكن وصفها بأنها ترجمة حرة أو مخصصة، فلأنه ليس هناك أية سمات محددة لهما فقد تم إلحاقهما في فئة الترجمة الحرة الجامعة لكل شيء ثم تم تجاهلها.

ويحاول روبنسون (Robinson 1991: 141-52) أن يفتح ويوسع هذه التعريفات، وقد يكون أكثر التعريفات شيوعاً الذي قام بإعادة تعريفه هو المصطلحات التقليدية المستخدمة لدى كاتفورد (Catford 1965) التي تميز بين الترجمة محدودة المستوى وغير المحدودة (انظر الأساليب اللغوية). والمستوى عند كاتفورد Catford هو شريحة نصية ذات طول محدد ومعين: وحدة لفظية أو كلمة أو مجموعة من الكلمات أو عبارة أو جملة (أو قصة - رغم أن كاتفورد لم يتطرق إلى مستويات بهذا الطول). إذن فالترجمة محدودة المستوى هي ترجمة فقط الوحدات على المستوى نفسه: الألفاظ المنفردة مثلاً أو العبارات المستقلة (من كل نقطة وقف إلى نقطة الوقف التي تليها). أما الترجمة غير المحدودة فهي على العكس من ذلك، ترجمة وحدات على مستويات مختلفة؛ بعض الألفاظ المنفردة مع بعض العبارات والجمل الكاملة. ويهتم كاتفورد Catford في الأساس بالتمييز (رغم تلك ليس المصطلحات التي استخدمها) بين الترجمة المنظمة والترجمة غير المنظمة - أو - بعبارة أخرى - الترجمة المثالية و الترجمة الحقيقية؛ حيث أن الترجمة محدودة المستوى هي المثال الذي يدعي الكثير من المترجمين أنهم يسعون إليه، لكن القليل منهم فقط هو الذي حققه. ويستخدم كاتفورد مصطلحات تقليدية هي الترجمة الحرفية والترجمة الحرة في وصف الترجمات غير المحدودة في المستويات المختلفة؛ الترجمة الحرفية هي ترجمة غير محدودة على مستوى أدنى (ألفاظ

أو عبارات) بينما الترجمة الحرة هي ترجمة غير محدودة على مستوى أعلى (الجمل البسيطة والمركبة).

وهناك مسأله أخرى تماما تختص بتلك الأعمال المترجمة التي لا تستبعد أي اتجاه من اتجاهات المعنى للنص الأصلي. في نظرية الترجمة الغربية السائدة - كما رأينا من قبل (بعيدا عن كاتفورد Catford) يتم اعتبار الترجمة الحرة، إما ترجمة رديئة أو لا تعد ترجمة على الإطلاق - وكلما قل الحديث عن ذلك كلما كان أفضل. ولكن هل تتشابه جميع الأعمال المترجمة ترجمة حرة، فهل هذا كل ما يمكننا قوله عن الترجمة التي تخرج عن المعايير؛ أنها حرة. ينبغي أن نوضح أن ترجمة Catullus - Zuckovskys تظهر شكلا من أشكال الترجمة الحرة بشكل مختلف عما تظهره النسخة المتلفزة من الأوديسة (Odyssey)؛ ولكن جميع أعمال المحاكاة والتتويج وما إلى ذلك هي في النهاية الشيء نفسه. هل تعكس الأعمال التجارية المترجمة نوع الحرية نفسه الذي تعكسه الترجمة التي تسعى لتكون أشبه ما تكون بالنص الأصلي، وماذا عن تحديث الترجمة والترجمة المتروكة، ماذا يحدث عندما يسعى المترجم لقلب استجابة القارئ في اللغة المستهدفة لنص كلاسيكي، أو العبث أو تغيير اعتقاد ذلك القارئ في أصليتها وحقيقتها ومصداقيتها، وماذا عن المعارضة في الترجمة التي تسعى في الأساس لامتاع القراء، هل جميع أشكال الترجمة الحرة هي جزء من كل لا يمكن التمييز فيه بينها، وإذا كانت كذلك فهل ينبغي أن تظل هكذا.

يبقى أن يتم استكشاف الصعوبات الكبرى التي تواجه ممارسة الترجمة فعليا. الافتراض المعياري ان الترجمة هي إما مخلصه أو حرة (وأنه إذا كانت مخلصه فإنها تترجم فقط إما الألفاظ المفردة أو الجمل المستقلة)، أعمى أعيننا عن نطاق كامل من الذخيرة المنهجية الفردية للمترجمين؛ بالإضافة إلى المخزون الجماعي.

انظر أيضا:

ADAPTATION; EQUIVALENCE; LINGUISTIC APPROACHES; LITERAL TRANSLATION; SHIFTS OF TRANSLATION; UNIT OF TRANSLATION.

قراءة إضافية:

Catford 1965; Robinson 1991; George Steiner 1975.
DOUGLAS ROBINSON